

الفصل الثاني القرآن والحديث

١

نزول القرآن وحفظه وقراءته

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يُنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم مُنجمًا في ثلاث وعشرين سنة . حتى تهياً النفوس البشرية لتلقى هذا الفيض الإلهي (وقرآنًا فترقنائه لتقرأه على الناس على مُكثٍ ونزلاًه تنزيلاً) . وكان أول نزوله في شهر رمضان وفي ليلة معلومة منه هي ليلة القدر (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (إننا أنزلناه في ليلة القدر) وظلَّ ينزل به على الرسول الكريم روح القدس جبريلُ بلسان عربي بليغ (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزل به على قلبك بإذن الله) (نزل به روح القدس من ربك بالحق) . إنه كلام الله أوحى به إلى رسوله المصطفى الذي اختاره لتبليغ آخر رسالاته إلى الناس كافةً . وكان الرسول يأمر بكتابة كل ما ينزل منه وقت نزوله ، واتخذ لذلك جماعة من كرام الكاتبين مثل علي وعثمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . ومضى كثير من كتبة الصحابة يكتبونه لأنفسهم . على أنهم جميعاً لم يعولوا على كتابته فقط ، إنما عولوا أولاً على حفظه وأخذوا شفاهاً عن الرسول الأُمي ، الذي كان يحفظه ويتلوه على المسلمين . وساروا على سننَّته يتحفظونه ويتلونه آتاء الليل وأطراف النهار مرتلين له ترتيلاً .

ونصوصُ القرآن صريحةٌ في أن سوره وآياته جميعاً رُتبت بوحى من الله إلى رسوله ، يقول جبريلُ شأنه : (وقال الذين كفروا لولا نُزل عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلك لَنُتبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) (إن علينا جمعه وقرآنه) . فالرسول لم

يُرْفَعُ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى إِلَّا بَعْدَ تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ وَسُورِهِ تَرْتِيبًا كَامِلًا . وَتَلَقَّاهُ عَنْهُ الصَّحَابَةُ بِهَذَا التَّرْتِيبِ ، وَكَانَ حَفَظَتُهُ يَسْمَوْنَ بِالْقُرْآنِ . وَلَمَّا اسْتَحْرَّ الْقَتْلَ بِهِمْ فِي يَوْمِ الْيَمَامَةِ لِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ خَشِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَسْتَحْرَّ بِهِمْ فِي مَوَاطِنٍ أُخْرَى ، فَيَذْهَبُ قُرْآنَ كَثِيرٍ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ لَسْتَيْنِ مِنْ خِلَافَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهافتون فِي الْمَعَارِكِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْتِيَ عَلَيْهِمْ . وَهُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ فَيُضِيعُ وَيُنْسَى ، فَلَوْ جَمَعْتَهُ ! وَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرِاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْفِكْرَةِ وَرَأَى رَأْيَهُ ، وَحِينَئِذٍ عَهْدَ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - أَحَدِ كُتَبَةِ الْوَحْيِ الْأَبْرَارِ - بِجَمْعِهِ ، فَجَمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ وَصَدُورِ الْحَفِظَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمُ بِالِاتِّقَانِ مِنْ مِثْلِ أَبِي بَنِ كَعْبٍ وَعُمَانَ وَعَلَى وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَطَلْحَةَ وَحذيفةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ وَتَحْرِيًّا فِي الدَّقَّةِ وَمِبَالِغَةً فِي الْحَيْطَةِ أَمْرَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْ حَافِظِ شَيْءٍ حَتَّى يَشْهَدَ شَاهِدَانِ عَدْلَانِ بِصِحَّتِهِ وَأَنَّهُ كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَمَّا جُمِعَ الْمَصْحَفُ حُفِّظَ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَمَّا تَوَفَّى وَخَلَفَهُ عُمَرُ انْتَقَلَ الْمَصْحَفُ إِلَيْهِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ انْتَقَلَ إِلَى حَفْصَةَ ابْنَتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ .

وَحَدَّثَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ أَنْ أَخَذَ الْقُرْآنَ فِي الْأَمْصَارِ الْبَعِيدَةِ يَخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِ الْأَدَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَصْحَفُ أَبِي بَكْرٍ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ، فَأَفْرَعُ ذَلِكَ حذيفةَ بْنِ الْيَمَانَ الَّذِي كَانَ يَغْزُو فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبِيْجَانَ فَهْرُعَ إِلَى عُثْمَانَ قَائِلًا : إِنْ النَّاسَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ حَتَّى إِنِّي وَاللَّهِ لِأَخْشَى أَنْ يَصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْاِخْتِلَافِ . فَهَمَّ عُثْمَانُ الْأَمْرَ ، وَأَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ لِلْمُسْلِمِينَ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ . وَبَعَثَ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسَلِي إِلَيْنَا بِالْمَصْحَفِ نَنْسَخُ مِنْهُ نَسْخًا ، ثُمَّ نَرُدُّهُ إِلَيْكَ ، فَأَرْسَلَتْ بِهِ إِلَيْهِ . فَأَمْرَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ ، وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرُونَ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فِي كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاصْتَبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ، فَصَدَعُوا بِأَمْرِهِ . وَرَدَّ عُثْمَانُ مَصْحَفَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى حَفْصَةَ وَطَابَتْ

نفسه ، وأمر أن تكتب المصاحف من مصحفه وأن يحملها القُرَّاء إلى الأمصار ، ويُقرئوا الناس على حَرَفِها ، وأرسل بالمصاحف إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق وغيرها من الأمصار الإسلامية ، وأمر بحرق ما سواها ، فأطاعته الأمة لما تعلم في صنيعه من الرشد والهداية . ومضى القُرَّاء في العالم الإسلامي يُقرئون الناس القرآن على حَرَفِ هذا المصحف الإمام ، غير أن فروقاً حدثت بينهم في القراءة داخل ذلك الحرف ، وهي المعروفة بالقراءات ، وقد وقع لإجماع المسلمين على سبع منها ، وهي قراءات ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبي عمرو بن العلاء وحمزة ونافع والكسائي .

وواضح مما قدّمنا أن القرآن الكريم أُحيط بسياج متين من المحافظة على نصّه محافظة بالغة ، إذ كانت آياته تُكْتَبُ فور نزولها ، وكان الصحابة يكتبونها ويحفظونها ويتلونّها في صلواتهم وعباداتهم مراراً ليلاً ونهاراً ، وسرعان ما جمعه أبو بكر في مصحف واحد ، وأتبعه عثمان بمصحفه ، وبعث بنسخ منه إلى مختلف الأمصار الإسلامية .

٢

سور القرآن وتفسيره في العهد الأول

عَدَدُ سور القرآن أربع عشرة ومائة تختلف طولاً وقصراً ، وتتضمن السورة طائفة من الآيات ، وهي تبلغ عدا البسمة أربع عشرة ومائتين وستة آلاف . وقد قَسِّمَتْ سهيلاً لتلاوته إلى ثلاثين جزءاً ، وكل جزء ينقسم إلى حزبين ، وكل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع . وهي أقسام لتيسير التلاوة والحفظ . وقد نزلت كثرة السور بمكة ، ومن ثم كانت السور إمامكية وإمامية نسبة إلى المدينة ، ومعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل بمكة داعياً للدين الحنيف ثلاثة عشر عاماً انتقل بعدها إلى المدينة حيث ظل بها عشر سنوات إلى أن لبى نداء ربه . على أن بعض السور تمتزج فيها آيات مكية بأخرى مدنية ،

بتوقيف من الله جلَّ جلاله . وجميع السور ما عدا فاتحة الكتاب حديث من الله إلى رسوله وأتباعه وخصومه .

والسور المدنية بصفة عامة طويلة ، وهي لا تختلف عن السور المكية من حيث الطول والقصر فحسب ، بل تختلف أيضاً في المعاني التي تدور عليها . أما السور المكية فإنها تخوض غالباً في الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده وتبذ عبادة الأوثان والأصنام والإيمان بالبعث والحساب ، فمن عمل صالحاً فله الجنة والنعيم ، ومن عمل سيئاً فله النار والحجيم . وتتخلل ذلك الموعظة الحسنة والقصص عن الأمم الماضية والقرون الخالية والحث على التمسك بأهداب الفضيلة ودعوة العقل إلى التدبر في خَلْق السموات والأرض ، فإن من تدبر في هذا الخلق عرف أنه لا بد له من صانع أحكم نظامه وأقام ميزانه . أما السور المدنية فإنها تفصّل القول في العمل الصالح الذي ينبغي على المسلم أن يقوم به ، ومن ثمّ كان يكثر فيها التشريع الديني وكذلك التشريع الاجتماعي بكل ما يتصل به من نظم الأسرة كالميراث والزواج والطلاق وبيع الراندين ونظم المجتمع كالبيع والشراء والرهن والمدابنة وقسمة الغنائم والزكاة وتحرير الرقيق ، مع بيان بعض العقوبات ووجوه التحليل والتحريم . وفي تضايف ذلك تُذكرُ العبادات وتتردد الدعوة إلى التوحيد والبعث والحساب والثواب والعذاب والإيمان بالكذب السماوية .

ودعت الحاجة منذ نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تفسير بعض آياته ، فكان الصحابة يرجعون إليه ليفسّر لهم بعض ما يتوقفون فيه ، وكان هو أحياناً يبادر فيبين لهم بعض الآيات ، يقول جلَّ ذكره : (وأنزلنا إليك الذكرَ لتبين للناس ما نزل إليهم) ويقول : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) . وتدل الآية الأولى دلالة واضحة على أن الرسول كان يبين للناس الأحكام القرآنية أمراً ونهياً ، فهو المفسر الأول لأوامر الله ونواهيه . وتدل الآية الثانية على أن في القرآن آيات تحتاج تأويلاً ، وهي تصرّح بذلك في وضوح .

وفي مقدمة تفسير الطبري عن ابن مسعود : « كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » . ويتضح من نص الآية الكريمة الثانية أنه سُمح لأولى العلم بالدين وأصوله من الصحابة أن يفسروا للناس آى الذكر الحكيم ، وهم الذين يسميهم الله عز وجل باسم الراسخين في العلم . ويحدثنا السيوطي في كتابه « الإتيقان (١) » أنه استطاع أن يجمع أكثر من عشرة آلاف حديث من تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأن يدونها في كتاب له بعنوان « ترجمان القرآن » وقد اختصره في كتاب طبع في ستة أجزاء سماه « الدر المنثور في التفسير بالمأثور » . ويقول إنه اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة هم الخلفاء الراشدون وابن مسعود وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير وابن عباس (٢) ، ويصرّح بأن الرواية عن أبي بكر وعمر وعثمان نزرّة ، أما على فقد روى عنه كثير . والآثار المروية عن زيد ابن ثابت قليلة ، وكذلك عن أبي موسى الأشعري وابن الزبير . أما أبى فله سند في الطبري عن طريق أبى العالية ، وعاش ابن مسعود بعده مدة طويلة كوّن في أثنائها مدرسة في الكوفة حتملت عنه تفسيراً كثيراً ، وسنده الجيد هو السُدّي الكبير عن مرّة الهمداني . وما نُسب إلى كل السابقين من تفسير لا يقاس إلى ما نُسب لابن عباس . فهو أكثر الصحابة تفسيراً . وقد حمل تفسيره كثيرون من التابعين أمثال مجاهد وعطاء وعلى بن أبى طلحة . وهو يُعدّ المؤسس الحقيقي لعلم التفسير فهو الذى تهجه ووضع أصوله . واشتهر بأنه كان يرجع إلى أهل الكتاب في قصص الأنبياء . وأنه كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير بعض الألفاظ (٣) . وقد حمل ابن جرير الطبري في تفسيره الكبير ما أُثّر عنه وعن الصحابة الأولين من تفسير الذكر الحكيم ، وكذلك حمل كل ما أضافته الأجيال التالية لعصر الصحابة في تفسير هذا النبع الإلهي الذى لا تنفنى كدوزد .

(١) انظر النوع الثامن والتسعين في هذا الكتاب .

(٢) انظر في ابن عباس ودوره في التفسير كتاب مذاهب التفسير الإسلامى لخالد تميمي .

(٣) ترجمه عبد الحليم النجار ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٢) راجع النوع الثمانين .

أثر القرآن في اللغة والأدب

القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم، إذ لم يُتَّحَ لأمة من الأمم كتاب مثله لا ديني ولا دنيوي من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب، سواء حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد وعظمته وجلاله، أو عن خَلْقِهِ للسَّمَوَاتِ والأَرْضِ، أو عن البعث والنشور، أو حين يشرِّع للناس حياتهم وقيمتها على نهج سعيد يحقق لهم السعادة في الدارين: الأولى والآخرة.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يمضي في تلاوته حتى يروع سامعيه ويأخذ بمجامع قلوبهم: سواء أكانوا من أنصاره أم كانوا من أعدائه، فقد روى الرواة أن الوليد بن المغيرة الذي كان من ألدَّ خصومه سمعه يتلو بعض آي الذكر الحكيم، فتوجَّه إلى نفر من قريش يقول لهم: «والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن»، وإن له لجلالة وإن عليه لطلّوة، وإن أعلاه لمشر وإن أسفله لمُعْدِق»^(١). وواضح أنه أحسَّ في دقة أن آي القرآن تباين كلام الإنس من فصحاتهم كما تباين كلام الجن الذي كان ينطق به كههاتهم. إنه ليس شعراً موزوناً، مما كان يدور على ألسنة شعرائهم، ولا سجعاً مقفى مما كان يدور على ألسنة كههاتهم وغيرهم من خطبائهم، إنما هو نمط وحده فُصِّلَتْ آياته بفواصل تطمئن عندها النفس: وتجد فيها وفي كل ما يتصل بها من ألفاظ رَوْحاً وعدوبة. إنه نمط باهر، بل هو نمط معجز ببيانه وبلاغته، يقول جتل ذكره: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين). وفعلا عجز العرب عن معارضته عجزاً تاماً، فمضوا يجرِّدون سيوفهم ويُعْمِدون ألسنتهم، ولم تلبث المعجزة الباهرة أن استعلت،

(١) انظر تفسیر الزمخشری فی

سررة المدثر. مفدق: كثير المياء.

ولم تلبث أضواؤها أن انتشرت في الجزيرة العربية ، وسرعان ما بزغت على دروب العالم ومسالكه من أواسط آسيا إلى جبال البرانس مما هيا لانقلاب واسع في تاريخ اللغة العربية وأدبها ، ونجمل ذلك لإجمالاً . فإن تفصيله لا يتسع له كتاب فضلاً عن صحيف معدودة .

وأول ما كان من آثار القرآن الكريم أنه جمّع العرب على لهجة قريش ، وحقاً كانت هذه اللهجة تسود القبائل الشمالية في الجاهلية . غير أن هذه السيادة لم تكن تامة . فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالباً ، أما قبائلهم فكانت تلوک لهجات تختلف عن اللهجة القرشية قليلاً أو كثيراً . حسب قربها من مكة أو بعدها . فعميل القرآن على تقريب ما بين هذه اللهجات من فروق واستكسال السيادة للهجة القرشية : إذ كان العرب يتلونه آناء الليل وأطراف النهار . وأخذت هذه اللهجة تعمُ بين القبائل الجنوبية متغلغلة في الأنحاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميرية . ولما فتحت الفتوح ومُصرت الأمصار أخذت لهجته تسود في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه ، إذ كانت تلاوته فرضاً مكتوباً على كل مسلم ، وحث الإسلام على حفظه وترتيله . يقول عزّ شأنه : (ورتل القرآن ترتيلاً) (ومن أعرض عن ذكرى فإن له سعيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى) . وبذلك تحول المسلمون في جمهورهم إلى حفظ القرآن ، يتلوه كبيرهم وصغيرهم حتى من سكنوا منهم الصحارى البعيدة ورءوس الجبال ، مما جعلهم ينطبعون بطوابعه اللغوية .

ومن غير شك أتاح هذا الحفظ للهجة قريش لا أن تنتشر في العلم الإسلامي فحسب ، بل أن تحفظ أيضاً وتظل على مرّ العصور حديدة عصّة لا تبلى مع الزمان ، وأيضاً فإنها اكتسحت ما لقيت من لغات ، إذ اتخذتها شعوب — لا حصر لها — لسانها . فأصبح هو اللسان الأدبي من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسي . فكل من عاشوا في هذه الأنحاء تكلموا العربية القرشية ، إذ حلت من ألسنتهم محل لغاتهم الأوى وأصبحوا عرباً يعبرون بالعربية عن مشاعرهم وعقوفهم ، وكل ذلك بفضل القرآن الكريم ، فهو الذي حفظ العربية من الضياع . ونشرها في أقطار الأرض ، وجعلها لغة حية خالدة .

وثاني آثاره أنه حوّل العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر ، وبذلك أحلّ فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله ولا كانت تعرف العبارة عنها ، وعادة يقف مؤرخو الأدب عند ألفاظ ابتدأها ابتداء مثل : الفرقان والكفر والإيمان والإشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة والتميم والركوع والسجود ، وغير ذلك من كلمات الدين الخفيف ، ولكن من الحق أن المسألة لم تكن مسألة ألفاظ فحسب ، إنما كانت أيضاً مسألة دين جديد . له مضمونه الذي لم يكن العرب يعرفونه ، من الدعوة إلى عباد الله واشتقاق الدليل عليها وعلى وحدانيته من خسلتق السموات والأرض ومن تاريخ الأمم وما يعي من عظات ومن تاريخ الأنبياء وما يحمل من عبر ، ومن تقرير البعث والنشور وبسط صور الثواب والعقاب مستعيناً في ذلك بالوجدانات الغريزية وبالعقول وتمييزها وما ينبغي أن يهيا لها من صواب الرأي . وإنه ليرتقي دائماً من معرفة الحواس إلى معرفة الأذهان ، وفي خلال ذلك يشرع للناس ما ينبغي أن تكون عليه حياتهم من نظام في أسرهم وفي مجتمعهم بحيث تسودهم الرحمة والعدالة كما تسودهم أخوة عامة ، يبذل فيها الغنى للفقير من مال الله ما يعينه ، أخوة لا أسود فيها ولا أبيض ولا عربي ولا أعجمي . وكل هذه الدعوة الكريمة التي نزل فيها مائة وأربع عشرة سورة تعدّ ابتداء ، بعباراتها ومعانيها . ونستطيع أن نقول إن كل ما كسبه العربية بعد ذلك من عظات عند الحسن البصري وغيره من كبار الواعظين ، إنما هو من فيض القرآن ومعينه الغزير .

وبمرّ الزمن أخذت تتكون حوله علوم كثيرة . ولا نبالغ إذا قلنا إن كل ما كسبه العرب من معارف إنما كان بفضل ما غرس فيهم القرآن من حب العلم كما قدمنا في غير هذا الموضع . وقد أخذوا يشتقون منه مباشرة علوماً كثيرة كعلم القراءات وغيره من العلوم التي عرض لها السيوطي في كتابه « الإقتان في علوم القرآن » وهو يقع في مجلدين يصور فيهما ما انبثق حوله من علوم مختلفة كعلم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم نحوه وإعرابه وعلم عامته وخاصه مما هيا لظهور علوم البلاغة . ومن العلوم المهمة المتفرعة منه علم الفقه وأصوله . ولا نبالغ إذا قلنا إن العلوم الإسلامية كلها إنما قامت لخدمته ، فهو الذي هيا بقوة لهضة العرب العنمية .

وثالث آثاره أنه هدب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب ، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة ، ويكفي أن تعود إلى معلقة مثل معلقة لييد أو إلى شعر قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع لترى كيف أنه حقاً اختط أسلوباً جزلاً ، له رونق وطلاوة ، مع وضوح القصد والوصول إلى الغرض من أقرب مسالكه . وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ على قدر المعنى ، وكأنما رسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلمس الشغاف . ومما لا شك فيه أن القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم ، بل هذا الأسلوب السهل المحتنع الذي يلذ الآذان حين تستمتع له والأفواه حين تنطق به والقلوب حين تصنعى إليه ، هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا ، والذي استطاع أن يفتح القلوب حين فتح العرب الأمصار فإذا أهلها مشدوهون ، وإذا هم يهجرون لغاتهم المختلفة إلى لغته الصافية الشفافة . وقرأ في قوارعه حين يتحدث عن البعث والحساب والعذاب وفي ملاطفاته حين يتحدث عن الرحمة والمغفرة أو حين يتحدث إلى رسوله فإنك ستجد الأسلوب دائماً مطرداً في جودة الإفهام وروعته مع سهولة اللفظ ومثابته وسلامته من التكلف ، وانظر إلى قوله تعالى يتوعد المشركين وما ينتظروهم يوم يُبعثون : (ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَادَاتِ وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَسُحَّتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَسْوِئاً لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وقارن بين ذلك وبين ملاطفته جلّ وعز لرسوله في سورة الضحى : (والضحى والليل إذا سجى ما ودّك ربك وما قلى ولاآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث فلو

تجد هنا ولا هناك كلمة متوعرة ولا لفظاً ضعيفاً ، إنما تجد روعة الأسلوب دائماً وجزالته وعدوبته ونصاعته ، مع دقة العبارات واستيفائها لمعانيها ، ومع الألفاظ المستحسنة في الآذان وعلى الأفواه ، الألفاظ التي تغذى العقول برحيقها الصافي وتشقى القلوب والنفوس .

وهذا الأسلوب البالغ الروعة الذي ليس له سابقة ولا لاحقة في العربية هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره ، فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته الكريمة وحسُن مخارج الحروف فيه ، ودقة الكلمات في مواضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ، وبحيث تجلّى عن مغزاها ، مع الرصانة والحلاوة . وكان العرب - ولا يزالون - يتحفظونه ، فهو معجدهم اللغوي والأدبي الذي ساروا على هُدها ، مهما اختلفت أقطارهم أو تباعدت أمصارهم وأعصارهم . يقول الجاحظ : « وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والركة وسلسّ الموقع . وقال الهيثم بن عدي : قال عمران بن حِطّان : إن أول خطبة خطبها عند زياد - أو عند ابن زياد - فأعجب بها الناس وشهد بها عمي وأبي ، ثم إنى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلاً يقول لبعضهم : هذا القتي أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن »^(١) . وما ذلك إلا لفتنتهم بأسلوبه وإحكام نَظْمه ، فإنك تجد العبارة منه ، بل اللفظة ، حين تأتي في سياق كلام كاتب أو خطيب أو شاعر تضيء ، كأنها الشهاب الساطع . ولا يزال أدباء العرب يستقون من فيضه وينهلون من نبعه الغزير ما يقومُ ألسنتهم ، ويكفل لهم إحسان القول بدون تكلف أو تعمل أو اجتلاب للألفاظ من بعيد .

٤

الحديث النبوي

الحديث هو كل ما حُكي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وهو بذلك ليس جميعه أقوالاً له ، بل منه ما يسمّى باسم

(١) البيان والتبيين ١ / ١١٨ .

الآثار وهي ما رواه الرواة حكاية عن خلقه أو عمله أو في شأن من شئونه .
 وضم إليه الرواة كثيراً مما حكى عن الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين ، إذ
 كانوا يقتدون به في أقوالهم وأفعالهم عملاً بقوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله
 أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ويقول الجاحظ : « كانوا يكرهون أن يقولوا سُنَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ،
 بل يقال : سنة الله وسنة رسوله »^(١) . وفي ابن سعد عن صالح بن كيسان قال :
 « اجتمعت أنا والزُّهْرِيُّ ونحن نطلب العلم فكننا نكتب السنن ، قال : وكتبنا
 ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم قال : نكتب ما جاء عن
 الصحابة فإنه سُنَّةٌ ، قال : قلت إنه ليس بسنة ، فلا نكتبه ، قال : فكتب ولم
 أكتب ، فأنجح وضيعت »^(٢) .

وأهمية الحديث ترجع إلى أن القرآن الكريم يذكر أصول الدين الإسلامى
 وأحكامه مجملة دون تفصيل وأنه هو الذى يفصلها ، فالقرآن مثلاً لم يذكر
 تفاصيل الصلاة والزكاة وهما من أهم أركان الإسلام ، بل اكتفى بمثل قوله
 تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وفصل الحديث أوقات الصلاة وكيفيةاتها ،
 كما فصل القواعد والأسس التى يجب اتباعها فى جَمْعِ الزكاة وتوزيعها . وهذان
 أمران من مئات الأوامر التى تناولتها أفعال الرسول وأقواله . فهو الذى بيّن
 أحكام الشريعة وصورها عملياً كما صور المبادئ الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية
 التى جاء بها الرسول . وبذلك كان مكملًا للقرآن . وخاصة حين تُجْمَلُ أحكامه
 أو يَسْتَبْهَمُ المراد من معنى بعض آياته ، فقد روى عن على بن أبى طالب أنه لما
 أرسل ابن عباس ليحاج بعض الخوارج أوصاه بأن لا يعارضهم بالقرآن لأنه
 حمّالٌ أوجه . ويحتمل معانى مختلفة ، وبأن يكون عماده السُنَّةَ فلا يجدوا منها
 مخرجاً^(٣) .

وكان الصحابة يروون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى حياته وكان
 هو نفسه يحثهم على ذلك ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله : « اللهم ارحم خلفائى قلنا

(١) الحيوان للجاحظ (طبعة الحلبي) ج ٢ ق ٢ ص ١٣٥ .
 (٢) نهج البلاغة (طبعة بيروت) ١٤٦/٢ .
 (٣) طبقات ابن سعد (طبعة أوربا)

يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال : الذين يرون أحاديثي ويعلمونها الناس^(١) . وكان كثيراً ما يقول للوفود : احفظوا أحاديثي واخبروا بها مَنْ وراءكم من العشائر ، وتكرر في خطبة حجة الوداع المشهورة : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وكان يُرسل في القبائل رسله ليعلموهم القرآن وسنته . ومرّ بنا أنه لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله : بم تَقْضَى؟ فقال : بكتاب الله ، فقال : فإن لم تجد؟ قال : فبسنة رسوله . فالحديث كان متداولاً في حياة الرسول وكان الرسول يأمر بنشره وإذاعته في الناس ، حتى يقفوا على أوامر الدين ونواهيه وما أخذهم به من آداب ونظم .

ولما توفى الرسول وانتشر الصحابة في الأمصار الإسلامية أخذوا يبلغون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا ، وكادوا لا يتركون صغيرة ولا كبيرة من أفعاله وأقواله إلا أحصوها وتناقلوها ، واشتهر من بينهم جماعة بكثرة ما روى عنهم في هذا الباب مثل أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك ، وكثير غيرهم . حتى إذا ذهب الصحابة خلفهم التابعون يحكون ما سمعوه منهم . وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل ، فالحدث يقول : سمعت من فلان عن فلان أو حدثني أو أخبرني أو أنبأني . ومن ثم تكون سند الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رواته ، تلك السلاسل التي تضخمت مع مر الزمن بعامل طول المسافة بين المحدث ومن ينقل عنهم حتى عصر الرسول . وقد يكون للحديث الواحد أكثر من سند بسبب تفرق الصحابة في الأرض ، وبذلك تعددت طرق رواية الحديث ، كما تعدد حاملوه ، وأصبح يحتوى متناً وسنداً بطول ويقصر . وطبيعي أن يسمّى حديثاً لأنه كان يعتمد على الرواية والنقل الشفوي ، وهو يسمّى أيضاً السنة ، وهي في اللغة العادة ويراد بها العادة المقدسة التي رويت عن النبي وصحابته . وهي تُستعمل في القرآن بمعنى تقاليد الأسلاف الأولين وقد حوّلها المسلمون إلى التقاليد التي حكيت عن الرسول وصحبه .

ومما لا ريب فيه أن بعض أحاديث الرسول دونّ في حياته ، وخاصة تلك

(١) انظر في هذا الحديث مقدمة السبطين على البخاري .

التي تتصل بالزكاة حين كان يكتب إلى بعض الأقوام يبيِّن لهم فرائض دينهم ، على نحو ما نجد ذلك في بعض كتبه المأثورة^(١) . ورخص النبي في بعض الأحوال لنظر من الصحابة أن يكتبوا حديثه ، فقد أذن لرجل من الأنصار شكاً إليه سوء حفظه لما يسمع منه أن يستعين على حفظه بيمينه^(٢) ، وعن رافع بن خديج قال : « قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : اكتبوا ولا حرج^(٣) » ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما يسمع من حديث فأذن له^(٤) ، وكان يسمى صحيفته التي كتبها عن الرسول الصادقة^(٥) . وفي بعض الأحاديث أن الرسول أمر أصحابه أن يكتبوا لرجل يمني خطبة سمعها منه ، تضمنت بعض الأحكام الدينية^(٦) . على أنه ينبغي أن لا نبالغ في تصور ما كان من هذه الكتابة لحديث الرسول في حياته ، فإنها كانت محدودة جداً ، وكان الرسول ينهى أن تصبح كتابة حديثه عامة ، حتى لا يختلط بالقرآن ، وهذا هو السبب فيما أُثر عنه من أقوال تنهى عن تدوين حديثه من مثل قوله لأصحابه : « لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن فمن كتب شيئاً فليمحها »^(٧) . وما يدل دلالة قاطعة على أن جمهور الحديث لم يكتب على عهد الرسول أن نجد عمر بن الخطاب يستشير الصحابة في كتابته ، وطلق يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً^(٨) . فترك كتابة السنن ، وتبعه كثير من الصحابة يروون الحديث ويكرهون أن يكتبه سامعهم مثل زيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري ، واقتدى بهم كثير من التابعين وإن كانت أخذت تظهر عند بعضهم بوادر كتابته ، ولكنه على كل حال لم يدون في القرن الأول للهجرة تدويناً عاماً . وظل الأمر على ذلك حتى تولى عمر بن عبد العزيز

-
- (١) انظر في ذلك مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة لحميد الله (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
 (٢) تقييد العلم للغدادي (طبعة يوسف العثري) ص ٦٥ .
 (٣) تقييد العلم ص ٧٢ .
 (٤) تقييد العلم ص ٧٤ وما بعدها .
 (٥) تقييد العلم ص ٨٤ .
 (٦) نفس المصدر ص ٨٦ .
 (٧) تقييد العلم ص ٢٩ وما بعدها .
 (٨) نفس المصدر ص ٤٩ وما بعدها .

الخليفة (٩٩ - ١٠١ هـ) فأمر بتدوينه . جاء في حاشية^(١) الزرقاني على موطأ مالك : « لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث إنما كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً إلا كتاب الصدقات والشيء اليسير .. حتى خيف عليها الدروس وأسرع في العلماء (من حفظها) الموت ، فأمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر الخزبي (والي المدينة) فيما كتب إليه : أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه . وقال مالك في الموطأ رواية محمد بن الحسن : أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم ، أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته أو نحو هذا فاكتبه لي فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، علمته البخاري في صحيحه ، وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ : كتب عمر إلى الآفاق : انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه . » وتوفى عمر قبل أن يصله عمل ابن حزم في هذا الصدد . وأول مدون للحديث بالمعنى الدقيق لكلمة تدوين هو ابن شهاب الزهري^(٢) المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة . وأخذ التصنيف والتأليف في الحديث يكثر بعده ويتسع ، وسرعان ما ظهر موطأ مالك ثم تابعت صحاحه مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم .

وإنما قدمنا ذلك ليقف القارئ على أن الحديث تأخر تدوينه ، وكان طبيعياً أن يتداوله الأعاجم والمولدون قبل هذا التدوين حتى يهجو نهج الرسول ويقصفوا أثره ، فزادوا ونقصوا في عبارته وقدموا في كلماتها وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ، ومن أجل ذلك رأى أئمة اللغة والنحو من علماء البصرة والكوفة وبغداد أن لا يحتجوا بشيء من الحديث في إثبات لغة العرب والاستدلال على القواعد التي دونوها ، لأن الأحاديث لم تكن تُروى بألفاظها كما جاءت عن الرسول إنما كانت - تُروى غالباً - بمعانيها . ومن أجل ذلك كان كثير من الأحاديث تتعدد رواياته .

٥٧١/١ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٤٥/٩

وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٢/١ والمعارف

لابن قتيبة ص ٢٣٩ وصفة الصفوة ٧٧/٢ .

(١) انظر الحاشية ١٠/١ .

(٢) انظر في ترجمته كتاب الأنساب

للسمعاني ٢٨١ وابن خلكان (طبعة بولاق)

على أن طائفة من الأحاديث رويت رواية تواتر، ومن ينظر في هذه الأحاديث وما نص عليه العلماء بأنه روى بلفظه يعرف أنه عليه السلام أوفى جوامع الكلم ،
 وحققاً ما يقوله الجاحظ من أنه « لم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشيّد
 بالتأييد وبُسِّرَ بالتوفيق » (١) ويضرب الجاحظ لبيانه الرائع بعض الأمثلة من
 حديثه الذي قيل عدد حروفه وكثرت معانيه ، فمن ذلك قوله للأَنْصار :
 « أما والله ما علمتكم إلا لتقتلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » وقوله
 « المسلمون تنكأوا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » ،
 وقوله : « لا تزال أمتي صالحاً أمرها ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرمًا » ،
 وقوله « المستشار مؤتمن » ، وقوله : « إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس
 يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون .
 وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون » ،
 وقوله « لا تتجنن يمينك على شمالك » وقوله : « ما أملق تاجر صدوق » وقوله :
 « رحيم الله عبداً قال خيراً فغتم أو سكت فسلم » وقوله : « إن الله يرضى لكم
 ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا
 بحبله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصرحوا من ولأه الله أمركم . ويكره لكم قيل وقال
 وكثرة السؤال وإضاعة المال » وقوله : « يقول ابن آدم : مالي مالي ، وإنما لك من
 مالك ما أكلت فأفئيت أو لبست فأبليت أو وهبت فأمضيت » وقوله : « إن قوما
 ركبوا سفينة في البحر فاقتمسوا فصار لكل رجل موضع ، فنقصر رجل موضعه
 بفأس ، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا
 على يديه نجا ونجوا وإن تركوه هلك وهلكوا » وقوله : « حصنوا أموالكم بالزكاة
 وداؤوا مرضاكم بالصدقة » وقوله : « من ذبَّ عن لحم أخيه بظهور الغيب كان
 حقاً على الله أن يجرم لحمه على النار » وقوله : « أوصاني ربي بتسع : أوصاني
 بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل في الرضا والغضب ، وبالقصد في الغنى
 والفقر ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأعطى من حرمني ، وأميل من قطعني ،
 وأن يكون صمتي فكراً ونظمي ذكراً ونظري عيباً » وقوله : « إن الأحاديث ستكثر

بعدي كما كثرت على الأنبياء من قبلي، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله». ويذكر الجاحظ طائفة من أقواله التي دارت بين الناس دوران الأمثال والتي تُعدُّ ذخيرة أدبية رائعة من نحو قوله صلى الله عليه وسلم^(١):

يا خيلَ الله اركبي - مات حَتَفَ أنفه^(٢) - لا تنتطح فيه عَنَرَان - الآن
 حَمِي الوطيس^(٣) - كل الصيِّد في جوف الفِرَّاء^(٤) - هُدنة على دَخَن وجماعة
 على أقداء^(٥) - لا يُلْسَع المؤمن من جُحُر مرتين . ومن أمثاله أيضاً: إن
 المُنْبِتَ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظهراً أبى^(٦) - إياكم وخضراء الدَّم من^(٧) - الناس
 كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة^(٨).

وإذا كنا قد عرضنا في غير هذا الموضع لأثر القرآن في اللغة والأدب فإن للحديث هو الآخر أثراً فيهما، وإن كان لا يبلغ أثر القرآن العظيم، لأنه دونه في البلاغة، وإن كان قائله أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم. ويمكن أن نلاحظ أثره في أنه عاون القرآن الكريم في انتشار العربية، وفي حفظها وبقائها، وكان له أثر أيضاً في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تُسْتخدَم من قبل هذا الاستخدام الخاص. وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية، وعلى تعاقب الأعصار، يدرسون ويتحفظونه ويشرحونه ويستنبطون منه. وحقاً أن كثرت رؤيت بالمعنى، ولكن هذا لا يقلل من قيمته اللغوية، إذ كانت ألفاظه تدور في عصور سبقت عصر فساد اللغة، وهي من أجل ذلك ألفاظ عربية سليمة، وبالتالي هي كنز ثمين. وقد استمد المتأدبون من هذا الكنز في رسائلهم وأشعارهم ما أضاف إليها - على مر العصور - رونقاً وطلاوة، وما يزال ذلك شأنهم إلى اليوم. وقد

-
- (١) انظر البيان والتبيين ١٥/٢ وراجع
 كتب الأمثال .
 (٢) مثل يضرب لمن مات على فراشه .
 (٣) الوطيس : التنور . يضرب مثلاً في اشتداد الحرب .
 (٤) الفِرَّاء : حمار الوحش . يضرب مثلاً في نفاة الشيء، أو الشخص .
 (٥) دخر : حقد .
 (٦) المنبت : من أسرع بناقته حتى هلكت فلم يقص ما يبقى من حاجة أو من سفر .
 والظهر : الناقة التي يركبها .
 (٧) الدَم : البعر المتبلد . يضرب مثلاً لتشفير من المرأة الحساء تنشأ في منبت سيء .
 (٨) الراحلة : الصالحة لأن ترحل .

جاءت فيه أحرف غريبة من لغات القبائل ، إذ كان الرسول يخاطب بعض وفودهم بلغاتهم ، وبقيت من ذلك آثار مختلفة كحديثه المشهور الذي أبدل فيه أل بأم كما يصنع بعض العرب من حدير إذ قال : « ليس من أمبيراً منصيام في أمسقر » ، أى ليس من البر الصيام في السفر . ومن أجل هذا وأمثاله أُلّف العلماء في غريبه كتباً . من أهمها كتاب غريب الحديث للقاسم بن سلام . ومن تأثيره أيضاً نشأة الكتابة التاريخية لا في السيرة النبوية فحسب ، بل أيضاً في تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم فيما نُقل عنهم . ومن غير شك هو السبب في أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف في مثل طبقات ابن سعد وأُسْدُ الغابة والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال للذهبي . فالحديث هو الذى فتَحَ باب الكتابة التاريخية وهياً لظهور كتب الطبقات في كل فن . وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث وغير مشاركته في علوم التفسير والفقهِ ، مما بعثَ على نهضة علمية رائعة .